بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة التين

هذه السورة مكية، وهي تبدأ بقول المولىٰ سبحانه:

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾

يقسم ربنا تبارك وتعالىٰ بهذه الأشياء الأربعة، وله سبحانه أن يقسم بما يشاء، فيقسم قائلًا: ﴿وَالتِّينِ﴾ وهو هذه الفاكهة المعروفة، ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ وهو هذا الزيتون الذي يؤكل ويعصر منه الزيت.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وهو الجبل الذي كلَّم الله عليه موسىٰ عليه السلام، ومعنىٰ سينين: أي المبارك.

﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ وهي: مكة المكرمة.

ويلاحظ: أن القسم بهذه الأشياء فيه إشارة إلىٰ تشريف البقاع الطاهرة التي وُجِد فيها ثلاثة من أولي العزم من الرسل وهم:

محمد ﷺ، صاحب ﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾، وموسىٰ عليه السلام صاحب ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، وعيسىٰ عليه السلام صاحب بلاد ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ وهي بلاد الشام.

ولكن!! علام يقسم ربنا بهذه الأشياء؟ **الجواب:**

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾﴾

أي: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا﴾ ـ بقدرتنا ـ جنس الإنسَانِ عامة ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في أحسن

صورة وشكل، فهو منتصب القامة، علىٰ خلاف بقية المخلوقات، سَوِيَّ الأعضاء، تام الخلقة، بهيّ الطلعة.

﴿ثُمَّ﴾ بعد هذا الحسن الذي يكون فيه، ولا يطيع الله تعالىٰ بسببه!! يقول تعالىٰ: ﴿رَدَدْنَٰهُ﴾ عدلًا منا ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ أي: في أقبح صورة، وأبشع منظر؛ إذ يكون من أهل النار.

هل كل الخلق علىٰ هذا؟، يقول الكريم العظيم:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾

نعم، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فلا ينطبق عليهم هذا الكلام، حيث لا يُردُّون إلىٰ أسفل سافلين، بل يكرمهم ربهم سبحانه علىٰ طاعتهم له، وإقبالهم عليه، حيث يقول: ﴿فَلَهُمْ﴾ منا ﴿أَجْرٌ﴾ عظيم ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: مستمر، لا ينقطع، ولا ينقضي.

أيها الإنسان!! هل عرفت هذا جيدًا؟

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾

أي: ما الذي يجعلك ـ بعد هذا البيان ـ تُكذب ﴿بِٱلدِّينِ﴾ وهو يوم الجزاء، يوم البعث، يوم القيامة؟

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالىٰ ﴿بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ وأعدل العادلين، الذي لا يظلم، ولا يترك المظلوم دون أن يقتص له من ظالمه، ولا يترك الكافر دون أن يعاقبه، ولا يترك الصالح دون أن يكافئه؟، بلىٰ، وألف بلىٰ.

إنه سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، ونحن علىٰ ذلك من الشاهدين.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العلق

هذه السورة تسمى بسورة: (العلق)، وبداياتها: أول ما نزل من القرآن الكريم، وتبدأ بقول الله عز وجل:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾

إن هذا الأمر الإلٰهي العظيم، موجَّه إلىٰ النبي ﷺ وهو النبي الأمي، الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

ولذلك: ينبغي أن ينصرف الذهن إلىٰ أن المراد بهذه القراءة أمر آخر، غير قراءة الكلمات المكتوبة، ولكن ما هذا الأمر الآخر..؟ إنه هذا الكون البديع، وهذا الإنسان العجيب، نعم ﴿ٱقْرَأْ﴾ وتأمَّل، وتفكَّر، مستعينًا ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ سبحانه وتعالىٰ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ كل شيء في هذا الوجود.

ومن أبدع ما خلق: أنه ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ في مراحله الأولىٰ ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ ثم بقدرته سبحانه صيَّره إنسانًا سويًّا ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ﴿ٱقْرَأْ﴾ وتأمَّل، وتفكَّر ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ الذي لا كرم فَوْقَ كرمه سبحانه، ولا كرم يضاهي كرمه عز وجل.

فهو ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ وهو الذي ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

كانت هذه هي الآيات الأولىٰ التي نزلت علىٰ محمد ﷺ، والتي كانت فاتحة الخير، وبشارة السعادة لهذه الأمة.

وقد توالت بعدها الفتوحات الإلٰهية، والإنعامات علىٰ نبينا محمد ﷺ، ومن ثَمَّ علىٰ أمته، وعلىٰ الدنيا كلها.

فماذا كان موقف البشرية من هذه الإنعامات الإلٰهية؟

لقد فرح وسعد وعمل بها قوم: فأنعم الله عليهم بالهداية والرضوان الإلٰهي!!

وعاندها وشقي بسبب البعد عنها والحرمان منها كثيرون!!

ولكن لماذا؟ إنه طغيان الإنسان وجهله.

حقًّا: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾

أوقع هذا الشقي: جهله، وغروره بماله، أو بولده، أو بمنصبه ومركزه أن يطغىٰ ويتجبر، حيث نسب هذه النعم لنفسه وجهده، ولم يرد الفضل لله تعالىٰ، ولذلك يردعه ربنا لقوله ﴿كَلَّآ﴾ عسى أن يفيق ويعود إلىٰ رشده.

بل أكثر من هذا يهدد قائلًا:

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾

أي أيها الطاغية لا تغتر، وعد إلىٰ صوابك، واعبد ربك، وإلَّا، فإن ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ بعد الموت، وستحاسب، ولن ينفعك ما تغتر به، وتطغىٰ بسببه.

ثم يخاطب ربنا حبيبه ﷺ، بما فيه تأنيس لكل داعية إلىٰ الله، وتقوية لجانبه، وشد لأزره، حيث يقول تبارك وتعالىٰ:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾

﴿أَرَءَيْتَ﴾ يا محمد، ما يدعو إلىٰ الدهشة والتعجب؟

إنه هذا الإنسان الطاغية ﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا﴾ عن الصلاة ﴿إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ وعن الزكاة إذا دفعها للفقراء، وعن الإيمان عامة، بل يحارب أهل هذه الأمور!!

وبذلك: يضر نفسه ضررًا كبيرًا.

﴿أَرَءَيْتَ﴾ يا محمد، ما يدعوا إلىٰ الدهشة والتعجب؟

إنه هذا الإنسان الطاغية الذي ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ في نفسه ﴿أَوْ أَمَرَ﴾ غيره بعد استقامته هو ﴿بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾!! أليس ذلك: أفضل وأنفع له؟

﴿أَرَءَيْتَ﴾ يا محمد، إنه هذا الإنسان الطاغية، الذي ﴿إِن كَذَّبَ﴾ بالحق ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ معرضًا عنه، جاحدًا له: أوقع نفسه في الهلاك!!

﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ هذا الإنسان ﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ والذي يبتعد عن الهدى ولا يأمر بالتقوىٰ، والذي يكذب بالحق ويتولى معرضًا عنه ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ كل شيء من أحواله، وسيجازيه علىٰ كل ذلك؟

علىٰ أية حال:

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ كلمة فيها التهديد والتخويف للطغاة، ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ كل طاغية عما هو فيه ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ أي: لنأخذن بناصيته، وهي مقدم رأسه التي يرفعها غرورًا وتباهيًا وتعاليًا، ونجره منها إلىٰ نار جهنم.

فهي: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أي: هي ناصية كاذب في أقواله، خاطئ في أفعاله.

ثم يستهزئ به القوي الجبار قائلًا: ﴿فَلْيَدْعُ﴾ هذا الطاغية ساعتئذٍ ﴿نَادِيَهُۥ﴾ ومن كان يتقوَّىٰ بهم في طغيانه؛ ليدفعوا عنه العذاب والمهانة فلن يجيبوه، ولو أجابوه: لن يفيدوه!!

حيث إنا ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ وهم ملائكة العذاب، الغلاظ الشداد، الذين ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] ليعذبوه!!

ثم يقول ربنا للحبيب ﷺ، ولكل مَن سار علىٰ دربه وتحلّىٰ بشريعته:

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ لا تفتن بما هو فيه، ولا تتأثر بطغيانه، و ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ في ضلاله، واستمر في طاعتك لربك، وحمايتك لدينك، ونصرتك لأمتك ﴿وَٱسْجُدْ﴾ له سبحانه، سجود خضوع وعبادة، ﴿وَٱقْتَرِب﴾ منه عز وجل، بالمداومة علىٰ ذلك.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القدر

وهي سورة مكية، تتحدث عن تلك الليلة الموعودة المشهودة، التي سجَّلها الوجود كله في فرح واغتباط وابتهال.

وهي: ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلىٰ.

وهي: ليلة بدء نزول القرآن الكريم علىٰ قلب محمد ﷺ.

وهي: تبدأ بقول الله عز وجل:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾

يخبر الله عز وجل، أنه أنزل القرآن في ليلة القدر، أي: ليلة تقدير الأمور وقضائها، وقد سميت بذلك؛ لشرفها علىٰ سائر الليالي.

وهي: الليلة المباركة، كما قال تعالىٰ عنها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]

وهي: ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، كما قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقد عظَّم المولىٰ شأنها بقوله:

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ هذه!!؟

يعني: لم يبلغ علمك غاية فضلها، ومقدار عظمتها.

ثم بيّن سبحانه هذا الفضل، وهذا القدر بقوله عز وجل:

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾

أي: هذه الليلة خير من ألف شهر ليس فيهم ليلة القدر.

ولكن، لماذا كل هذا الفضل؟ يقول الحق سبحانه:

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

نعم، ﴿تَنَزَّلُ﴾ أي: تتنزل ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إلىٰ السماء، أو إلىٰ الأرض ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ أيضًا، وهو جبريل، أو الرحمة ﴿فِيهَا﴾ أي: في هذه الليلة، وذلك: عند الذكر، وتلاوة القرآن، وطلب العلم، وعمل الصالحات.

كل ذلك: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن﴾ أجل ﴿كُلِّ أَمْرٍ﴾ قضاه الله تعالىٰ وقدَّره لخلقه.

كما أن هذه الليلة ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ حيث لا يُقدِّر الله فيها إلَّا السلامة والخير، و(سلام) لكثرة سلام الملائكة علىٰ المؤمنين، وذلك ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾.

اللهم بَلِّغنا هذه الليلة المباركة، والمسلمين أجمعين يا ربَّ العالمين.

اللهم إنَّكَ عفوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنا يا كريم، اللهم آمين آمين.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البينة

وهي سورة مكية، تبدأ بقول المولى تبارك وتعالىٰ:

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾

نعم، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]؛ لأنه ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالحق وجحدوا به ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهم اليهود والنصارىٰ، ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وهم كل مَن ليس من أهل الكتاب ليس مسلمًا، لم يكن هؤلاء ﴿مُنفَكِّينَ﴾ أي: منفصلين عن هذا الكفر، وتاركين له ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي الحجة الواضحة، التي بسببها يؤمنون، ويتركون ما هم عليه من الكفر.

ولكن!! ما هذه البيِّنة المنتظرة؟ إنها:

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾

نعم، ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وقد جاء هذا الرسول، وهو محمد ﷺ!! جاء ﴿يَتْلُواْ﴾ علىٰ الدنيا كلها ﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ من الشرك والباطل.

وهذه الصحف ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ أي: مكتوبات، وتعاليم ﴿قَيِّمَةٌ﴾ مستقيمة، حيث إنها ناطقة بالحق والعدل.

ولكن!! ماذا فعلوا بعد أن جاءهم هذا الرسول العظيم، بهذه الصحف القيِّمة؟

آمن بعضهم، وكفر معظمهم، حتىٰ أهل الكتاب الذين يقول عنهم ربنا سبحانه وتعالىٰ:

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾

ولم يكن لهم في ذلك أدنى شبهة تدعوهم لهذا التفرق بسببه، والكفر به، حيث أخبرت كتبهم به ﷺ. **كما أنه:**

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾

يعني : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ في كتبهم قبل تحريفها ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ﴾ من غير شرك ﴿حُنَفَآءَ﴾ مائلين ومبتعدين عن كل باطل وكفر، كما أُمروا أن ﴿يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ﴾ الذي أُمروا به: هو ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ أي: الدين المستقيم الذي جاء به محمد ﷺ.

إذاً لِمَ لَمْ يؤمنوا به؟ إنه العناد، إذ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بعد بعثة محمد ﷺ ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كذلك ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ يقيمون، ويُعذَّبون ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها، حقًّا: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ التي خلقها الله تعالىٰ.

وإذ كان هؤلاء هم: شر البرية، فهناك (خير البرية) وهم الذين يقول عنهم تبارك وتعالىٰ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

نعم، هؤلاء هم ﴿خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ أي: خير الخلق أجمعين.

لذلك ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بقبوله أعمالهم، وإنعامه عليهم، ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ أي: سعدوا برضاه، وإنعامه عليهم، وهذه المقامات العلية العالية، لا تكون إلَّا ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ واتقاه حق تقاته، وعَبَده كأنه يراه.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزلزلة

سورة مكية، **وهي**: سورة تهز القلوب الغافلة هزًّا عنيفًا، حيث تبدأ بقوله سبحانه:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾﴾

يعني: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ في يوم القيامة ﴿زِلْزَالَهَا﴾ أي: اهتزت وتحرَّكت واضطربت بهذا العنف الرهيب.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ في هذا الوقت ﴿أَثْقَالَهَا﴾ أي: ما فيها من أموات، وكنوز.

ورأىٰ الجميع: تفاهة ما كانوا يعبدون من دون الله، وحقارة ما كانوا به ينشغلون عن عبادة الله، بل ما كانوا من أجله يتخاصمون ويتحاربون في الدنيا.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ مفزوعًا مما يحدث: ﴿مَا لَهَا﴾؟ وذلك للوهلة الأولىٰ.

ثم يقول الكافر متحسرًا: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾؟[يس: ٥٢].

وأما المؤمن فيقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾

هذا: جواب الشرط.

والمعنىٰ: يوم تتزلزل الأرض، وتخرج أثقالها، ويقول الإنسان من هؤلاء ما لها!!

حينئذ ﴿تُحَدِّثُ﴾ الأرضُ الخلقَ وتخبرهم ﴿أَخْبَارَهَا﴾ وما عمل الناس عليها من خير أو شر.

وذلك ﴿بِأَنَّ﴾ أي: بسبب أن ﴿رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ وأذن لها أن تخبر بهذا وذاك؛ بشارة للمؤمن، وتكديرًا للكافر.

أيضًا: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

والمعنىٰ: يوم تتزلزل الأرض، وتخرج أثقالها، ويقول الإنسان مذهولًا ما لها!! حينئذ ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ ويخرجون من قبورهم ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرقين، مختلفين، فيهم بيض الوجوه، وفيهم سود الوجوه، وذلك ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أي: نتائجها، وما يحدث لهم.

أيها الناس: هذه حقائق لا شك فيها، وتنبيهات ينبغي أن نعيها:

﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ في الدنيا ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ في الآخرة ثوابًا عظيمًا من الله تعالىٰ.

﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾ في الدنيا ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ في الآخرة جزاءاً عدلًا من الله تعالىٰ.

اللهم إنَّا نسألكَ الجنةَ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قولٍ أو عمل. اللهم آمين.

* * *